7

الحادي عشر من أيلول
ووقف إطلاق النار بين الحزبين

لـن أنسـى أبداً مثل معظـم الأمريكيين، أين كنـت في صباح الحادي عشـر من أيلول، سبتمبر سنة 2001؛ فقد استقر في ذاكرتي إلى الأبد. كنت مسافراً مع الرئيس عندما كان يُحَضّـر للحديث عـن إصلاحات في سلك التعليم، وعن مبادرته حـول مهارة القراءة على وجـه الخصوص، وذلك في إحدى المدارس الابتدائيـة في مدينة ساراسوتا بولاية فلوريدا. كانـت هذه الفعاليـة جزءاً من رحلة لمدة يومين تهدف إلى حث الكونغرس على إقرار رزمة التعليـم التي اقترحها بوش. كان السكرتير الصحفي آري فليتشر يرافق الرئيس على متن طائـرة الرئاسـة، بينما كنت مسافـراً في صحبة مجموعة أكبر مـن الصحفيين المرافقين للرئيس في طائرة مُستأجَرة.

شـارك الرئيس في مناسبة تعليمية في مدرسة ابتدائيـة في مدينة جاكسونفيل، بولاية فلوريدا، في اليوم السابق؛ أما نحن فقد قضينا ليلتنا في منتجع «كولوني بيتش» في ساراسوتا (والذي كان سيغلق بسبب انتهاء الموسم في اليوم الثاني لمغادرتنا ذلك المنتجع).

كانـت حافـلات الصحافة التي تقـل مجموعة كبيرة من صحفيـي البيت الأبيض قد غادرت قبل نصف ساعة من انطلاق موكب الرئيس، من ثم كان بمقدور هؤلاء الصحفيين أن يحضـروا مواقعهـم قبل وصول الرئيس إلى مدرسة «إيمـا بوكر» الابتدائية. وكما هي العـادة، فقـد جهزت الشبكات غرفة للبـث تتضمن كل ما تحتاجه مـن أجهزة البث بما في ذلـك تدويـن ملاحظات الرئيس علـى شاشات التلفزيون. تمت إقامـة مركز للتوثيق يستوعـب أفراد الطاقم الصحفي كافة، بحيـث أصبح بمقدور الصحفيين كتابة الأخبار وإرسالهـا، وتلقـي التصريحات، وكذلـك تركيب منصـة لإلقاء التصريحـات بواسطة

السكرتير الصحفي أو موظفين آخرين في الإدارة. وعلى مسافة قريبة من ذلك المكان، أقيم مكتب صحفي تابع للبيت الأبيض.

بعد الوصول إلى المدرسة، والتحقق من غرفة البث، ومركز التوثيق، والمكتب الصحفي (في هذه الحال، كانت جميعها موجودة في أحد الصفوف الدراسية)، ذهبت إلى مكتبة المدرسة حيث كان من المقرر أن يتحدث فيها الرئيس بعد أن يقوم بزيارة إلى أحد الصفوف الدراسية. كانت كاميرا الشبكات، وطواقم الصوت، ومحطات وسائل الإعلام المحلية موجودة في الأمكنة المخصصة لها على منصة الصحافة وراء المقاعد التي وضعت من أجل أعضاء الجمهور الذي يتضمن إداريي مدارس، ومعلمين، وأولياء أمور. وقد خصصت مقاعد في الخلف لصحفيي البيت الأبيض. جلست بين جودي كين الصحفية في صحيفة «يو. إس.إي. تودي» وبين دافيد سانغر من صحيفة نيويورك تايمز.

كنا نتحدث في العموميات عندما رن جهاز تلقي الاتصال الخاص بي. قرأت الرسالة. كان برايان برافو، وهو مساعد شاب في المكتب الصحفي، أول من أورد هذا الخبر العاجل في الوقت نفسه الذي كان يُبَثُّ نحو الساعة الثامنة وخمسين دقيقة من صباح ذلك اليوم: اصطدمت إحدى الطائرات بمركز التجارة العالمي. تساءلت كيف يمكن لحادث غريب مثل هذا أن يقع. هل كانت طائرة صغيرة ربما تعرض ربانها إلى نوبة قلبية، وفقد السيطرة على طائرته؟ هل حدث خلل كبير في أنظمة المراقبة الجوية. بدا الوضع غامضاً جداً.

صحتُ قائلاً: «هذا مريع».

سألت جودي: «ماذا؟»

قلت: «أذاعت وكالة الأسوشيتد برس أن طائرة اصطدمت بمركز التجارة العالمي». وكان إحساس جودي وديفيد بالصدمة لا يقل عن إحساسي بها.

تحركنا بسرعة إلى مركز التوثيق لمشاهدة الحدث على شاشة التلفزيون. انضم إلينا معظم الصحفيين المرافقين لنا في رحلتنا، وكان الآخرون من بينهم موجودين سلفاً في تلك الغرفة. كنا نراقب المشهد بانتباه عميق محاولين فهم حقيقة ما جرى، عندما صاح أحد الصحفيين فجأة: «هناك طائرة ثانية اصطدمت بالبرج الآخر!»

أظنني لمحت بطرف عيني انفجاراً آخر في الوقت الذي كنت أتحدث إلى أحدهم، لكنني اعتقدت أن ذلك الانفجار ثانوي.

سألته: «هل أنت متأكد؟» كان الآخرون يتساءلون فيما إذا كان قد وقع انفجار جديد أيضاً.

أعيد بث المشهد نفسه بعد لحظات قليلة، ورأينا جميعاً اصطدام الطائرة الثانية بالبرج الثاني. سرت قشعريرة في ذراعيّ وفي ظهري. بدأت فكرة قيام أحدهم بالاعتداء على أمريكة بطريقة دراماتيكية ومميتة بالتسلل إلى مساحة شعوري. التفت معظم الصحفيين في تلك اللحظة صوبي ونظروا إليّ، حيث كنت أقف في المنطقة الخلفية من مركز التوثيق الصغير. كانت تلك ردة فعل طبيعية من قبلهم. كان ذلك حدثاً عظيماً. ما الذي يسمعه البيت الأبيض، وما الذي يقوله؟ لكنهم كانوا يعرفون جميعاً أن عليّ الخروج للتأكد مما حدث.

قلت: «سوف أعود بعد قليل». كان لا بد لي من اقتفاء أثر كبار المسؤولين المسافرين معنا ذلك اليوم، والاطلاع منهم على ما يعرفونه حول الموضوع. وبينما كنت أخطو خارج مركز التوثيق، رآني أحد موظفينا المتقدمين وقال قبل أن يسمع سؤالي: «اتبعني. سوف أرافقك إلى المعقل». كانت تلك غرفة خاصة أقيمت كغرفة عمليات هادئة تحتوي على هواتف آمنة وأخرى غير آمنة كي تكون بتصرفنا أثناء زيارة الرئيس. في هذه المناسبة، كان معقل الرئيس شبيهاً بمعقل كبار الموظفين. كان ملاصقاً للغرفة الدراسية التي كان الرئيس يراقب فيها تلامذة الصف الثاني الابتدائي وهم يأخذون درساً في القراءة، وكان هو يشاركهم هذا الدرس. وكانت الطريق الوحيدة للولوج إلى ذلك المعقل هي عبر غرفة الصف الصغيرة تلك.

وبينما كنت اقترب مع الموظف المتقدم من غرفة الصف، كان الجمع الصحفي قد بدأ المغادرة. فقد انتهوا للتو من عملية تصوير الرئيس وهو يقرأ أمام تلامذة الصف، ولذا فإنهم الآن يُقتادون إلى الخارج، كما هي العادة بعد انتهاء عمليات تصوير من هذا النوع.

obeikandl.com

ولكن قبل دقيقة من حصول ذلك، قام جمع الصحفيين بتصوير آندي كارد وهو يتجه إلى الرئيس، ويهمس في أذنه قائلاً: «لقد ضربت طائرة ثانية البرج الثاني. أمريكة تتعرض لهجوم» وقد أعيد بث تلك اللقطة عدداً لا يحصى من المرات.

وبينما كنا نلج إلى غرفة الصف، سأل بعض أعضاء الجمع الصحفي عن معرفتي بحادث اصطدام الطائرة في نيويورك؛ فهم لم يكونوا قد سمعوا بحادثة الطائرة الثانية بعد.

أخبرتهم بأننا «شاهدنا للتو طائرة ثانية تصطدم بالبرج الثاني؛ هذا كل ما أعرفه». مراسلة محطة أخبار ABC لم تسمعني جيداً على ما يبدو، فسألتني: «هل قلت إن هناك طائرة ثانية؟»

أجبتها: «نعم، ضربت طائرة ثانية البرج الثاني. هذا كل ما أعرفه».

قادني بعدها الموظف المتقدم إلى معقل الموظفين، وكان على يساري. وبينما كنت أدخل إلى غرفة الصف، وأمشي صوب الجهة الخلفية نحو المعقل، نظرت إلى الرئيس الذي كان يجلس في كرسي الأستاذ أمام التلامذة. كان أحد التلامذة يقرأ أمام الرئيس، لكن كان من الواضح أن عقل الرئيس كان حيث وقع الهجوم. لم ألمح أبداً مثل ذلك التعبير البارد على وجهه من قبل. قرأت في عينيه أنه كان على يقين أننا نمر في حال حرب.

انضممت إلى فريق الموظفين المسافرين في المعقل. بعد بضع دقائق، دخل الرئيس وشاهد البرجين على شاشة التلفزيون وهما يحترقان. ثم جلس وتلقى بعض المكالمات الهاتفية طالباً معلومات أكثر عن الحادث. أذكر أنه طلب إلى أحدهم إغلاق جهاز التلفزيون. (يحب بوش عادة أن يكون الجو المحيط به خالياً من كل ما يمكن أن يشتت تفكيره). كان آري فليشر موجوداً هناك، وكذلك دان بارليت، وآندي كارد، وكارل روف، وديبورا لوار، عضو مجلس الأمن القومي، ومديرة غرفة المواقع في البيت الأبيض.

تحدث بوش مع نائب الرئيس عبر أحد الخطوط الهاتفية الآمنة، ومع مدير مكتب التحقيقات الفيدرالية روبرت موللر (الذي لم يكن قد مضى على استلامه للمنصب

أكـثر من أسبوع)، ومع باتاكي، حاكم ولاية نيويورك. أخبر كلٌ من تشيني ومولر الرئيس بالمعلومات التي لديهما بشأن الموضوع، والتي كما خمنت حينها، لم تكن أكثر من المعلومات التي كانت متوافرة لدينا في حينه. طلب الرئيس من الحاكم باتاكي إبلاغ سكان نيويورك أن الحكومة الفيدرالية ستبذل كل ما بوسعها للمساعدة في الرد على هذا الهجوم.

بعـد إجراء تلك المكالمات، أمسـك الرئيس برزمة مـن الأوراق الصفراء، وبدأ يخط بعض الملاحظات حول ما يجب أن يصرح به قبل مغادرة المدرسة. تجمهر كبار الموظفين المتواجديـن في تلـك الرحلة حـول الرئيـس. كان برنامج الزيارة موزعـاً على مرحلتين: التوقف في إحدى الغرف الدراسية، ثم إبداء بعض الملاحظات حول التعليم لجمهور من الحاضريـن لا يتجاوز الثلاثين شخصـاً مجتمعين في المكتبة. أمـا الخطة الآن فتقتضي قيـام الرئيـس بإلقاء تصريح مقتضب حول ما حدث في نيويـورك، وإعلام الحاضرين، وكذلـك وسائل الإعلام أن عليـه العودة إلى واشنطن حالاً للإطـلاع على مجريات هذه المأسـاة. وقفت إلى جانب الرئيـس من جهة، ووقف دان بالقرب منه، أما آري فقد جلس معه إلى الطاولة.

أشار الرئيس إلى أنه ليس بحاجة إلى بيان رسمي معد سلفاً. هو الآن يتحدث بصوت عـالٍ، وهو يكتب مقاطـع مما سيلقيه في الوقـت الـذي كان كارد وآري يزودانه بالأفكار. قـال الرئيس: «وقعت اليوم مأساةٌ وطنية، فقد اصطدمت طائرتان ببرجيْ مركز التجارة العالمي في هجوم إرهابي على بلادنا».

اعترض دان قائلاً: «لسنا متأكدين من أن ذلك كان هجوماً إرهابياً».

قـال بوش: «إنه كذلـك بالتأكيد، مـاذا تظنه إذاً؟» أنـا وآري وافقنـا الرئيس أن من الواضح أنه هجوم إرهابي.

أجـاب دان: «ما أريد قوله هو أننا لم نتأكـد من أي شيء بعد. فنحن لا نعرف من هو المسؤول».

قلـت مقدماً إسهامي المتواضـع: «إذاً، قل فقط هجوم إرهابي علـى ما يبدو». أضاف الرئيس هذه الكلمة الإضافية.

اتجـه الرئيس برفقة الموظفين بعد ذلك مباشـرة إلى المكتبة لإلقاء كلمته المختصرة. وفي واحـدة مـن محطات تلك الكلمة، خرج عن النص المكتـوب ليتوعد بأنه سوف يلاحق «هؤلاء الأشخاص» قبل القول «إن الإرهاب ضد بلادنا لن يمر من دون عقاب»؛ وهو بذلك كان يـردد العبارات نفسها التي استعملها والده بعـد غزو العراق للكويت. رأى البعض أن تعليقـات الرئيس الأولى كانت عادية جداً، وأنهـا لم تكن قوية، أو توفر الاطمئنان للشعب كمـا كان يجب أن تكـون. لكنه استرد موقعه بسرعة وظهر بمظهـر المتشدد، كما أضحت أقواله وأفعاله مبعث اطمئنان في الأيام التي تلت تلك الحادثة.

بينمـا كان الرئيس يضع اللمسات الأخيرة على خطابـه، نظر آري إليّ. كنا نقف وراء الستائـر التي كانت تستخدم دائمـاً كطوق مضروب حول الرئيـس لحمايته. سألني: «ألا تعتقد أنه يجب أن ترافقنا إلى واشنطن؟».

أجبتـه: «لا أظن ذلك، فأنا ضابـط الارتباط الوحيد بين البيـت الأبيض وبين السلك الصحفـي. لذا، أظـن أنه من الأفضـل أن أبقى معهم لأزودهم بالمعلومـات التي يمكنني الحصول عليها».

بعد عدة دقائق، غادر الرئيس متوجهاً إلى واشنطن.

عـدت إلى مركز التوثيق، وهنـاك أبلغني المساعد الصحفي هـاري وولف أن مراسلي الأخبـار جاهزون للبث الحي من ساحـة المدرسة. مشيت إلى الخارج، وذكرت لهم بشكل واضـح أسماء الأشخاص الذين تحدث الرئيس إليهـم، وما قاله لهم؛ وذلك لأنني أعتقد أنه من الأفضل في وقت الأزمات إعطاء المعلومات والوقائع بأسرع وقت ممكن للصحافة، وهذا ما حاولت القيام به.

وبينمـا كنت أقفـل عائداً إلى مكتـب التوثيق، هرولـت نانسي هارميـير، المخرجة في شبكـة فوكـس نيوز، نحوي. كنـت أعرف نانسي جيـداً. فقد غطـت أنشطة حملتنا الانتخابيـة. قالـت نانسـي: «يـا سكوت، يقـول زملاؤنـا في واشنطن إن مبنـى المكتب التنفيذي قد ضُرِبَ أيضاً».

سألتها وأنا في حالٍ من الذهول: «مبنى المكتب التنفيذي؟»

أجابت: «نعم، يقولون إن سحابة من الدخان تخرج منه. هل سمعت أي شيء عن هذا الأمر؟»

شعرت بأن الضرب يقترب مني أكثر فأكثر؛ فأخي الأكبر، مارك، وهو عضو في مجلس مستشاري الرئيس للشؤون الاقتصادية، وكبير مستشاريه لشؤون السياسة الصحية، كان يعمل في مبنى المكتب التنفيذي. كما أن العديد من الزملاء الذين تربطني بهم معرفة جيدة كانوا يعملون هناك أيضاً، بمن فيهم أصدقاء مقربون. مرة أخرى، شعرت بقشعريرة تسري في كافة أنحاء جسدي.

قلت: «لم أسمع بأي شيء من هذا القبيل».

قفلت عائداً إلى مكتب التوثيق فوراً لأرى ماذا يمكنني القيام به على شاشة التلفزيون. كانت التقارير الواردة تؤكد أن مبنى البنتاغون قد تم ضربه. أكدت نانسي بعد ذلك مباشرة أن بعضاً من زملائها أكدوا أنهم شاهدوا الدخان يتصاعد من مبنى البنتاغون، لكنهم اعتقدوا أن ذلك الدخان كان ينبعث من مبنى المكتب التنفيذي، وأنه كان من الكثافة بحيث أنه حجب عنهم رؤية مبنى البنتاغون. كان من الصعب التصديق بأن مبنى وزارة الدفاع يمكن أن يقصف من قبل الإرهابيين. انتابني شعور بالألم الشديد، بالرغم من أن ذلك ترافقَ مع إحساسٍ ببعض الارتياح بعد أن علمت أن مبنى المكتب التنفيذي لم يكن هو المستهدف في الهجوم.

فكرت كثيراً بوالدتي في تلك اللحظة لأنني كنت أعلم أنها جد قلقة (كنت ما أزال غير متزوج حينها). كانت في مدينة أوستن، وكانت تشغل منصب مراقب النفقات في ولاية تكساس. خطوت إلى الخارج، واتصلت بمكتبها من هاتفي المحمول. ونظراً لأن إحساسي بالأزمة كان طاغياً، لم أتوقف حتى للسؤال فيما إذا كانت موجودة في المكتب. فقط، قمت بالطلب إلى مُساعدتيْها نورا ألفورادو وليزا رايت أن «تقولا لوالدتي إنني بخير، وإنني مع الرئيس في فلوريدا، وإنني أحبها وسوف أتصل بها مساء اليوم».

عدت بعد ذلك إلى العمل. عانيت من بعض المشكلات في محاولاتي الاتصال بكلير بوكان في البيت الأبيض؛ وكلير هذه، هي زميلتي التي تشغل موقع النائب الآخر للسكرتير

الصحفـي. أذكر أن محاولتي الاتصال بها استغرق بعض الوقت لأن شبكة الاتصالات في واشنطـن كانت مضغوطة أكثر مما ينبغي. ولكن عندمـا استطعت أخيراً الاتصال معها، استمـرت كلير بتزويدي بكل ما لديها من معلومـات، وذلك كي أستطيع إبلاغ الصحفيين بالمعلومـات المتوافرة لدى البيت الأبيض. كمـا زودني آري بالمعلومات المتوافرة لديه، وبما فعلـه الرئيـس وهم في طريقهم إلى واشنطن مستخدمين ممـراً غير مباشر للوصول إلى البيت الأبيض، بما في ذلك التوقف في قاعدتين جويتين. كان رجال الأمن السريون قلقين مـن أن يكون الرئيس نفسه مستهدفاً. علمت فيما بعد أن آندي كارد ونائب الرئيس اتفقا مـع رجال الأمـن السريين على أن الرئيس لا يجب عليه الآن العـودة إلى واشنطن إلى أن ينجلي الغبار عن مدى هذا التهديد.

لم أكـن على اطلاع على شيء من هذا في حينه؛ ولكن تم إخلاء معظم الموظفين ممن لا تستدعـي طبيعـة وظيفتهم التواجد في البيـت الأبيض في أوقات كهـذه. كان على كلير المُرابَطة في غرفة المواقف، كونها كبيرة الناطقين الصحفيين في البيت الأبيض وذلك من أجل القيام بواجب الاتصالات المنوطة بالمكتب.

بعـد انقضاء فـترة ما بعد الظهر، عدت إلى منتجع كولوني مـع بعض الموظفين الذين بقوا إلى جانبي في فلوريدا، بمن فيهم كيللي غانون، مديرة الصحافة المتقدمة، والمساعد في مكتـب السفريات، جو بيلي، بالإضافة إلى هاري وولف، وأعضاء من السلك الصحفي في البيـت الأبيض الذين تم الطلب إليهم البقـاء معنا. كان مكتب السفريات التابع للبيت الأبيض مسؤولاً عن تنسيق الاحتياجات المتعلقة بالتنقل مثل تأمين الحافلات والطائرات، وحجـز أماكـن الإقامة للسلـك الصحفي. كان هـذا المكتب غير معروف نسبيـاً بالنسبة للجمهـور قبـل حادثة ترافيل غيت، وهـي واحدة من سلسلة من الحـوادث المثيرة للجدل التي تورط فيها البيت الأبيض في عهد كلينتون.

كان بو أول من أبلغني أنه ليس بالإمكان تأمين عودة السلك الصحفي - ومن ثم أنا - إلى واشنطن في تلك الأمسية. كان من المعروف أن نورم مينيتا، وزير النقل قد أمر بعدم

إعطاء الموافقة على إقلاع أي طائرة مدنية، ومنع كل الرحلات غير المصرح بها. وضعت أعداد من الطائرات الحربية في حال استنفار من أجل الدفاع عن الأجواء وتقديم الدعم في حال الضرورة. بقيت على اتصال بكلير حتى مساء ذلك اليوم. استمعت في تلك الليلة من غرفتي في منتجع كولوني إلى الكلمة التي وجهها الرئيس إلى الأمة من المكتب البيضاوي. بدا في تلك الإطلالة أكثر ثقة بنفسه، وأكثر قوة في تلك الليلة مقارنة بما ظهر عليه في بداية ذلك اليوم.

توجهت في صباح اليوم الثاني إلى مركز التوثيق الصحفي في منتجع كولوني، وأقمت مركزاً في المكتب الصحفي التابع للبيت الأبيض. كان ذلك في الغرفة نفسها المحاطة بستائر زرقاء كبيرة. تابع بووزملاؤه في مكتب السفريات المحاولة لتأمين عودة الصحفيين إلى البيت الأبيض. ولما استطعنا أخيراً الحصول على إذن لطائرة الصحفيين المستأجرة للإقلاع من مطار ساراسوتا والهبوط في قاعدة أندرو الجوية فإن الشركة رفضت السماح لطائرتها بالطيران في ظل هذه الظروف.

أبلغنا الصحفيين أننا سنبذل قصارى جهدنا، ولكن علينا الآن إبلاغهم بأننا لن نستطيع تأمين عودتهم إلى منازلهم على متن طائرة الصحفيين المستأجرة.

بحلول ذلك الوقت، كان أحد صحفيي الشبكة الإعلامية قلقاً بسبب أنه لن يكون بمقدوره العودة إلى واشنطن لتغطية الحدث الأكبر في فترة رئاسة بوش، وأنه الآن يشعر بالخجل أو الحرج في التعبير عن إحساسه بالإحباط. ونظراً لكونه صحفياً متمرساً، فقد كان يرغب في أن يكون في قلب الأحداث. كان يزعجه أن يرى زملاءه من الشبكة الإعلامية نفسها الذين بقوا في واشنطن ينقلون الأخبار والتقارير من خارج البيت الأبيض، وهم يقفون في المنطقة نفسها التي كان هو ينقل منها الأخبار، والمعروفة باسم «منطقة شاطئ الحصى»، وحيث يقع في الخلفية مشهد نورث بورتيكو المهيب، في الوقت الذي هو عالق هنا في مدينة ساراسوتا.

خرج ذلك الصحفي من بين جموع الصحفيين وتوجه إليّ أمامهم مشيراً بإصبعه وهو يقول: «بربك يا سكوت! أنت نائب مساعد الرئيس. ولديك القدرة على تأمين طائرة عسكرية تقلنا إلى واشنطن. هذا غير معقول!»

أزعجتني قليلاً وقاحة ذلك الصحفي. قلت له بالمقابل: «إن الجيش لديه أولويات أهم منك في الوقت الحاضر». كان ردي الحاسم والسريع كافياً لإسكاته، في الوقت الذي خيم الصمت على بقية الموجودين في الغرفة.

شعرت بالاستياء قليلاً كوني عنَّفتُ ذلك الصحفي أمام زملائه، إلا أن واحداً من مخرجي إحدى الشبكات اقترب مني لاحقاً وقال لي: «أريد فقط أن أقول لك إنك كنت محقاً في ما فعلته. فما قاله كان خروجاً على قواعد السلوك، وكنت محقاً بوضعه في حجمه الطبيعي».

أعربت له عن تقديري لما قاله. فلم تسعدني قط شكوى ذلك الصحفي العلنية أمام جميع أفراد المجموعة. فالجميع كان يشاطره ذلك الإحساس بالإحباط الناجم عن كوننا جميعاً بعيدين عن موقع الحدث؛ ولم يكن عليه إلقاء اللوم عليّ أمام جميع من كنت أعمل معهم.

بحلول عصر ذلك اليوم، استطاع مكتب السفريات تأمين ثلاث حافلات لنقل حشد الصحفيين إلى واشنطن، العاصمة. كانت الرحلة ستستغرق ست عشرة ساعة. دعتني كيلي غانون إلى الركوب معها في سيارة فورد إكسبيديشن، والتي ستوصلنا إلى واشنطن في وقت أسرع. قلت لها إن ذلك سيكون عظيماً، «ولكنني إذا ذهبت معك، فسيرافقنا مساعدي هاري». كان هاري وولف يبذل جهداً جباراً، مقدماً لنا الدعم ليومين من دون توقف وسط هذه المأساة.

حينئذ تذكرنا، أنا وكيلي، العميل السري للشؤون الصحفية. فمنذ أن حاول جون هينكلي اغتيال الرئيس رونالد ريغان بعد أن شق طريقه باتجاه منطقة الصحفيين خارج فندق هيلتون في واشنطن، قامت الشرطة السرية بوضع عميل لها بين الصحفيين. قالت كيلي: «يجب أن نسأله إذا كان يود مرافقتنا في طريق العودة».

قلت لها بنَفَسٍ من روح الدعابة: «نعم، إذا أردنا الوصول بسرعة، فلن يضيرنا وجوده معنا». كنت أفكر في أن شارته سوف تساعدنا بالتأكيد إذا طلبت منا شرطة الطرقات

السريعة التوقف للتحقق من هوياتنا. أما بو، فلم يكن بمقدورنا مساعدته؛ وهكذا فقد كان عليه أن يبقى مع مجموعة الصحفيين الآخرين.

حال وصول الحافلات، والتأكد من أن كل شيء كان على ما يرام، انطلقنا في سيارة الإكسبيديشن. كانت الساعة الثالثة بعد الظهر. قررنا تناوب قيادة السيارة على أساس أربع ساعات لكل منا، والعودة بأسرع ما يمكن. كان العميل السري هو الأكثر وزناً بيننا. ربما كان ذلك يعود إلى ثقل شارته!

في مكان ما، إلى الجنوب من حدود كارولينا الشمالية، استيقظت من غفوة قصيرة في المقعد الخلفي ونظرت إلى يميني عبر نافذة السيارة. كنا نتجاوز شاحنة كبيرة تحمل حاوية، وكان يتدلى من وسط الحاوية علم كبير لأمريكة. كنت حينها نصف مستيقظٍ، لكن شعوراً بالفخار غمرني في تلك اللحظة. كان واحداً من بين العديد من الأعلام التي نصبت على السيارات، والشاحنات، وأمام البيوت، وفي الصفوف الدراسية، والمكاتب، وواجهات المحال التجارية في طول البلاد وعرضها. كل ما كان يفرق بين الأمريكيين لم تعد له في تلك اللحظة قيمة. كنا نقف صفاً واحداً، وكنا أمة موحدة.

لن يعود بيت بوش الأبيض الذي وصلت إليه صباح ذلك اليوم كما كان عليه أبداً. كان يتم استدعاء أسلافنا الذين عملوا في البيت الأبيض في وقت الأزمات. الآن، جاء دورنا لمواجهة هذا التحدي. لقد كانت مسؤولية لم يتصور أحد من بيننا أنه سيواجهها عندما باشرنا عملنا هناك قبل ثمانية أشهر.

تم وضع كل المخططات الدقيقة لمرحلة فصل الخريف التي خرجنا بها بعد الاجتماعات حول «الإستراتيجية» جانباً. تحولت أولوياتنا من التركيز على القضايا الداخلية إلى مجال السياسة الخارجية، أو قضايا الأمن القومي. أصبحت رئاسة بوش الآن رئاسة لزمن الحرب. كنا ما نزال ندفع بالأولويات المحلية التي لها أهمية خاصة، خصوصاً ما يتعلق منها بالإجراءات الضرورية للإنعاش الاقتصادي، وقانون «لا أطفال من دون تعليم»؛ إلا أن حماية الوطن، والانتصار في الحرب ضد الإرهاب أصبحا يشكلان الآن أولويتنا القصوى.

كانت الأيام الأولى التي أعقبت هذه الهجمات لافتة. أذكر أنني كنت جالساً في الكاتدرائية الوطنية في واشنطن أثناء الصلاة لراحة نفس القتلى يوم الجمعة وذلك بعد ثلاثة أيام على وقوع الهجمات. كانت الملاحظات التي أطلقها الرئيس عاطفية ومطمئنة. فقد أشاد بكرم عمال الإنقاذ، ولطفهم، وشجاعتهم الذي «فاق كل التوقعات»، كما أشاد بالمتبرعين بالدم، وبالآلاف الآخرين الذين بذلوا الجهد وقدموا ما استطاعوه من المساعدة. ركز على الشخصية الأمريكية التي اكتشفت ذاتها عبر «أفعال سامية من التضحية». تحدث بوش بعدها عن شعورنا بالوحدة الوطنية:

أظهر الأمريكيون عبر هذه الأفعال، كما في العديد من الأمثلة الأخرى المشابهة، التزاماً عميقاً ببعضهم بعضاً، ومحبة كبيرة لبلادنا. نشعر اليوم بما سمّاه فرانكلين روزفلت الشجاعة الحميمة المنبثقة من الوحدة الوطنية. إنها وحدة بين المعتقدات كافة، ومختلف الخلفيات.

فقد وحّدت الأحزاب السياسية في مجلسي الكونغرس. وتتجلى الآن في الصلوات والشموع المضاءة، والأعلام الأمريكية التي ترفع بكل فخار، وبنَفَسٍ من التحدي.

إن وحدتنا هي قرابة نشعر بها في أوقات الحزن، وتتمثل في تصميمنا العنيد على الانتصار على أعدائنا. وهذه الوحدة ضد الإرهاب تمتد إلى أرجاء العالم كافة.

عصر ذلك اليوم في مدينة نيويورك، كان الرئيس يمسك بقرن الثور وهو يقف إلى جانب رجل الإطفاء النيويوركي بوب بيكويث، موجهاً حديثه إلى جموع من عمال الإنقاذ الذين لم يكلوا أو يملوا من العمل في النقطة صفر من مكان وقوع الحادث. عندما صاح أحدهم أنه لا يستطيع سماع الرئيس، أجاب بوش في واحدة من أكثر لحظات رئاسته تميزاً ولفتاً للنظر: «ولكن أنا أسمعك. كل العالم يسمعك. والأشخاص الذين حطموا هذا المكان سوف يسمعون منا جميعاً في القريب العاجل».

في العشرين من شهر أيلول، سبتمبر، أذكر جيداً أنني كنت أشاهد التاريخ على بعد أمتار قليلة من المنصة التي كان الرئيس يخاطب من عليها جلسة مشتركة لمجلسي النواب والشيوخ. حذر في ذلك الخطاب نظام طالبان في أفغانستان، وأوضح أننا سنلاحق من

دون هـوادة الشبكـة الإرهابية المتمثلـة بالقاعدة إلى أن نفككها ونهزمهـا، كما أعلن عن إنشـاء مكتب للأمـن الداخلي تابع للبيت الأبيض برئاسة حاكم فيرجينيا توم ريدج. ذكّر بوش أن الحملـة ضـد الإرهابيين ستكون طويلـة، وسوف يتم خوضها علـى عدة جبهات – الاستخباراتية، والدبلوماسية، والعسكرية، والمالية، وعبر فرض القانون. وستتضمن بعض هذه الأفعال تحركات عسكرية دراماتيكيـة واضحة، بينما ستتضمن بعضها الآخر أعمـالاً سرية غـير مرئية. أوضح بوش أن «على كل أمة في كل بقعة مـن العالم أن تتخذ قرارهـا: إما أنتم معنا، أو مع الإرهابيين. اعتبـاراً من هذا اليوم، أي بلد يستمر في إيواء الإرهابيين أو يقدم لهم الدعم سوف تعده الولايات المتحدة نظاماً معادياً لها».

كمـا أعطـى أوامـره إلى القوات المسلحـة بأن تكون علـى أهبة الاستعـداد. بعد مرور أسبوعـين على ذلـك، أخطرتنا الوحـدات العسكرية التـي طلب إليها الاستعـداد للقتال في أفغانستـان، بأنهـا جاهزة للقيـام بالمهمة. بـادرت وحداتنا العسكريـة بالهجوم على أفغانستـان بمساعدة مـن بريطانيا العظمى، وبدعم من تحالـف دولي عريض وصل إلى أكثر من تسعين دولة.

اتخذت الإدارة إجراءات أيضاً داخل الولايات المتحدة. ففي أعقاب الهجمات مباشرة، لم تكـن هنـاك أولويات أكثر أهمية من جهـود الاستجابة للحدث والتعـافي من تأثيراته، ومساعـدة نيويـورك على إعـادة بناء نفسهـا. كانت سلامـة الطيران المدني لهـا أولوية قصـوى، فاتخذت عدداً من الخطوات بدءاً من تفحص المسافرين، بما في ذلك الاتفاقية النهائية بشأن اتخاذ إجراءات ذات طابع فيدرالي تتعلق بعرض المسافرين على الشاشات بإشـراف إدارة سلامـة النقل الجديدة. تحرك الكونغرس أيضـاً بعد عدة أسابيع لإقرار القانون الوطني، مقدماً بذلك دعماً قانونياً لاستنباط عدد من الوسائل الجديدة لمكافحة الإرهـاب؛ تحـول بعضها فيما بعد إلى قوانين مثيرة للجـدل، عندما أثيرت تساؤلات حول الخـرق المحتمل للحريات المدنية. وقـد أزيلت الجدران التي كانت تمنع مكتب التحقيقات الفيـدرالي، ووكالة المخابرات المركزية من المشاركـة في المعلومات الاستخباراتية، وجرى اتخـاذ بعض الخطوات لتقويـة أجهزة المخابـرات وتجميعها والمشاركة فيمـا بينها. كان أكـثر ما يلفت النظر حينها هو تقليص عدد من كان يسمح لهم بدخول الولايات المتحدة.

وجهت هجمات الحادي عشر من أيلول ضربة موجعة للاقتصاد الذي كان يشهد تراجعاً بالأساس، وبدأ يدخل، كما كنا سنعلم لاحقاً، في حال من الركود منذ شهر آذار، مارس (استناداً إلى المكتب الوطني للبحوث الاقتصادية، وهو الحَكَمُ الرسمي في دوائر الأعمال). كانت المساعدة ضرورية من أجل استقرار صناعة الطائرات مالياً. قمنا في الكونغرس بالدفع باتجاه رزمة حوافز اقتصادية لمساعدة العمال الذين فقدوا وظائفهم، وتسريع تنفيذ قانون خفض الضرائب الذي سبق أن أُقِرَّ في بداية السنة، وأشاع جواً من الارتياح بين الأمريكيين من أصحاب الدخل المتوسط، والمحدود. إلا أنه بينما وافق مجلس النواب على تمرير الرزمة بسرعة، فإن مجلس الشيوخ الذي كان يسيطر عليه الديمقراطيون رفض منح الموافقة. ولم يكن من الممكن تمرير نسخة مخففة من رزمة الحوافز هذه في الكونغرس إلا في السنة اللاحقة.

بالعودة إلى المرحلة التي أعقبت أحداث الحادي عشر من أيلول، هناك حادثة كان لها في رأيي تأثيرٌ هائلٌ على الرئيس بوش، واستحوذت على تفكيره؛ ويبدو أن الكثير من الناس قد نسوا الموضوع برمته - وأعني بها الهجمات بالجمرة الخبيثة

أكثر ما كان يثير القلق في داخل البيت الأبيض والدوائر الاستخباراتية في الأيام والأسابيع التي أعقبت هجمات الحادي عشر من أيلول، هو احتمال وقوع موجة جديدة من الهجمات. فقد ازدادت حدة هذا القلق عندما تناهى إلى سمع البيت الأبيض صباح الرابع من شهر تشرين الأول، أكتوبر، أن شخصاً من فلوريدا يعاني من استنشاق جرعة مميتة من الجمرة الخبيثة.

يومها، كانت هناك إشارات تلمح إلى أن الحادثة يمكن أن تكون معزولة، وليست نتاجاً لعمل إرهابي. إلا أن مراكز مراقبة انتشار الأوبئة ومكتب التحقيقات الفيدرالي بدأا التحقيق بشأن هذا الموضوع بسرعة. في اليوم الثاني، توفي بوب ستيفنز، ضحية حادثة الجمرة الخبيثة في فلوريدا. كانت هناك آثار للجمرة الخبيثة في المبنى الذي يقع فيه مكتبه في مدينة بوكا راتون في اليوم السابع من شهر تشرين الأول، أكتوبر، وهو ما دفع بالمسؤولين إلى إخلائه، والبدء في فحص العاملين في ذلك المبنى. (في وقت أبكر

مـن ذلك اليوم، أعلن الرئيس في خطاب موجه إلى الأمة بدء عملية الحرية الثابتة، وهي التسميـة التـي أطلقت علـى الحملة العسكرية لإزاحـة حكم طالبان مـن السلطة، وجلب إرهابيي القاعدة في أفغانستان إلى العدالة.) ولم يتم التأكد من مصدر الجمرة الخبيثة التي أدت إلى وفاة بوب ستيفنز.

كانـت إحـدى المهمات الموكلـة إليّ في البيت الأبيض بعد هجمات الحـادي عشر من أيلول، المساعدة في إبقاء آري فليشر محاطاً بآخر المستجدات حول هذا التهديد الإرهابي المحتمل بشن حرب جرثومية. بقيت على اتصال مع نظرائي في وزارة الصحة والخدمات الإنسانية؛ وبدأت العمل مع ليزا غوردون- هاغرتي، وهي موظفة حكومية في غاية الذكاء، وتعمـل من دون كلـل أو ملل في وحدة مقاومـة الإرهاب في مجلس الأمـن القومي برئاسة ريتشـارد كلارك. كانـت ليـزا ضابـط الارتباط مع مجلـس الأمن القومي حـول موضوع الهجمات بالجمرة الخبيثة.

بعـد وفاة ستيفنز بعدة أيام، بـدأت الرسائل الملوثة بالجمرة الخبيثة تظهر في كل من واشنطن ونيويورك؛ بما في ذلك رسالة أرسلت إلى مكاتب شبكة NBC الإخبارية، وأخرى إلى مكتب توم داشل، رئيس الأغلبية في مجلس الشيوخ. كانت الرسالة الموجهة إلى داشل تحتـوي علـى كمية من البكتيريـا القاتلة، وأدى ذلـك إلى ازدياد المخـاوف في واشنطن، وغيرها من المناطق.

بـدأت تقارير تطفو علـى السطح، وتنتشر في كل مكان، مـن أن مسحوقاً أبيض كانت النـاس تخشى أن يكون بـودرة الجمرة الخبيثة، آخذٌ في الانتشار. تبين بعد ذلك أن أغلب هـذه التقارير كانت إنذارات كاذبة. لكن الخطر المحـدق بالبلاد كان حقيقياً. ولم يمضِ وقـت طويـل قبل أن تبـدأ الصحافة بالتساؤل عمـا إذا كان من الممكـن أن تكون مصادر الجمـرة الخبيثة إحدى الحكومات الأجنبية. لم تكـن التقارير التي ترد إلينا بشكل سري حينهـا تشـير إلى تـورط أي جهة أجنبية مـن وراء البحار. ولكن بينمـا كان كل من آري، والمستشـار الجديد لشـؤون الأمن الوطني تـوم ريدج يدليـان بتصريحاتهما الأولى حول الموضوع، لم يكن بالإمكان نفي أي احتمال بشكل نهائي.

بقيت قضية الجمرة الخبيثة مصدراً لقلق متزايد. بدأنا نتساءل متى يمكن لهذه الموجة أن تتوقف. فقد توفي كل من توماس موريس جونيور وجوزيف كيرسين، العاملان في مكتب للبريد في منطقة تقع إلى الشمال الشرقي من مدينة واشنطن في وقت لاحق من شهر أكتوبر بعد استنشاقهما للجمرة الخبيثة. كما تبين فيما بعد أن مكتب البريد التابع للبيت الأبيض ملوث هو الآخر بآثار الجمرة الخبيثة. أذكر جيداً أن كل البريد الوارد إلى البيت الأبيض ولشهور عدة بعدها، كان يتأخر بسبب فحصه والتحقق من نسبة الإشعاعات فيه.

في وسط التقارير التي كانت ترد إلينا، ومعظمها كان كاذباً، تلقيت اتصالاً هاتفياً نحو الساعة التاسعة من مساء يوم الثالث والعشرين من شهر تشرين الأول، أكتوبر من بيل بيرس، وهو مسؤول في وزارة الصحة والخدمات الإنسانية، وكان مسؤول العلاقات العامة أيضاً، يحذرني من احتمال وجود حالة من الحمى الصفراء في مدينة أورلاندو، بولاية فلوريدا. فقد دخل رجل إلى مستشفى محلي وقد تم الحجز عليه احتياطياً للاشتباه بأنه يعاني من أعراض هذا المرض القاتل. كان بإمكاننا فقط تصور مدى الرعب الذي سيتسبب به لو أن هذه الأعراض كانت صحيحة.

أعلمت آري بالقصة، وانتظرت بقلق لأسمع معلومات إضافية من بيل بيرس حول الموضوع. حصلت عليها في وقت لاحق من تلك الليلة. كانت إنذاراً كاذباً آخر. فالرجل لم يكن يعاني من أعراض الحمى الصفراء بل من مرض الزهري. سألت بيل: «مرض الزهري؟ كيف يمكن لهم أن يخلطوا بين الحمى الصفراء والزهري؟» لم يحر بيل جواباً، ولكن انتابنا شعور بالارتياح.

صعدت إلى مكتب آري مباشرة بعد إنهاء المكالمة، وقلت له: «حسنٌ. لدي أخبار طيبة؛ فالرجل في فلوريدا لا يعاني من الحمى الصفراء. لكن هناك أنباء سيئة بالنسبة له – فهو يعاني من مرض الزهري.

وكما ذكر آري فيما بعد في مذكراته بعنوان «الاكتواء: Taking heat» فقد أجاب بصيحة ملؤها الفرح: «نعم! إنه مرض الزهري! هو مصاب بمرض الزهري». ذهبنا جميعاً إلى بيوتنا، ونحن نشعر بشيء من الارتياح في تلك الليلة.

لكن مصدر الهجمات بالجمرة الخبيثة بقي غير مؤكدٍ. تلقينا معلومات بعد يومين عن الجمرة الخبيثة التي وجدت في رسالة موجهة إلى داشل. كشف التحليل أنها من النوع نفسه الذي أرسل إلى الآخرين، ولكنها أكثر تطوراً. انهمك الآلاف من عملاء مكتب التحقيقات الفدرالي في التحقيقات حول عمليات اختطاف الطائرات في الحادي عشر من أيلول، وحول الهجمات بالجمرة الخبيثة - متتبعين لأي دليل، ومجرين مقابلات مع أصدقاء وجيران أولئك الذين تعرضوا للجمرة الخبيثة، محاولين التوصل إلى مصدرها.

أتذكر أيضاً الإحساس بالإحباط الذي عانى منه آري بسبب تقرير إخباري غير دقيق بثته شبكة أخبار ABC مساء السادس والعشرين من شهر تشرين الأول، أكتوبر، وهذه قصة أخرى نشرها في مذكراته التي أشرت إليها آنفاً. فطالما أن أحداً لا يستطع نفي ضلوع أي مصدر بشكل رسمي، فإن وسائل الإعلام راحت تبحث في كل الاحتمالات. فقد ذكر برايان روس وهو صحفي مرموق في قسم التحقيقات التابع لشبكة أخبار ABC في مقدمة النشرة الإخبارية للشبكة المذكورة في تلك الليلة أنه علم من «ثلاثة مصادر وثيقة الاطلاع، ولكنها منفصلة» أن الاختبارات الأولى كشفت عن وجود مادة البينتونايت Bentonite الكيميائية المضافة إلى الجمرة الخبيثة، وأن الدولة الوحيدة المعروفة بأنها استخدمت هذه المادة لإنتاج الأسلحة البيولوجية هي العراق؛ وأضاف روس أن مادة البينتونايت هي «ماركة مسجلة باسم برنامج صدام حسين لإنتاج الأسلحة البيولوجية». أوضح بيتر جينينغز أن بعضهم قد يستنتج أن هذه مجرد «قنبلة دخانية» لربط الهجمات بالجمرة الخبيثة بالعراق.

ذكرت شبكة ABC أن آري «أنكر بأقوى العبارات» أن تلك المادة هي البينتونايت. لكن جينينغز تحدث أيضاً عن «الجدل المتفاقم بين أركان الإدارة حول ملاحقة صدام حسين».

تابع آري القصة من دون كلل أو ملل، و«استمر في التنقيب داخل شبكة ABC للتأكد من أن المسؤولين فيها سوف يقومون بتصحيح هذه القصة» بعد أيام من بثها لها. تراجعت شبكة ABC عن تقريرها السابق في الحادي والثلاثين من شهر تشرين الأول، أكتوبر، قائلة «إن التحاليل الكيميائية اللاحقة» نفت وجود مادة البينتونايت في الجمرة الخبيثة

بالرغـم من أنها كانت تحتوي على مادة السيليكا Silica التي لا تعد ماركة مسجلة باسم برنامـج أي بلـد بعينه». لكن الشبكـة رفضت التراجع عن تقريرهـا السابق بشكل كامل، وهـذا مـا أصابنا جميعاً بالإحبـاط، وليس آري فقط؛ لأننا كنـا حريصين على الحصول على معلومات دقيقة لتقديمها إلى الناس. ربما كانت تلك إشارة أولى واضحة من وسائل الإعـلام الوطنية تقوم فيهـا بالتركيز على نزاع ضمني مع العـراق على حساب الحقائق المهمة حول الضرورة الحقيقية التي تفرض قيام حرب.

مـع حلـول شهر تشرين الثـاني، نوفمبر، تم تأكيـد وقوع ست عشـرة إصابة بالجمرة الخبيثـة. فلقـد توفيت امـرأة من نيويورك، واسمهـا كاثي نغويان في نهايـة شهر تشرين الأول، أكتوبـر، جـراء إصابتهـا بالجمـرة الخبيثة. تأكد لمكتـب التحقيق الفيـدرالي أن المغلفـات المرسلة إلى محطـة NBC، والرسائل المرسلة إلى مكتب داشـل، بالإضافة إلى تلـك التـي اكتشفت في فلوريدا مرسلة من علبة البريد نفسهـا في مدينة ترينتون في ولاية نيو جيرسي؛ وبدأ عملاؤه محاولة تعقب الشخص الذي من المحتمل أن يكون قد بعث بهذه الرسائل من علبة البريد تلك. لكن لم يكن من الممكن الجزم فيما إذا كان المصدر محلياً أو أجنبياً.

لم يوجـه اتهـام بالقتـل بواسطة الجمرة الخبيثـة إلى أحد حتـى الآن بالرغم من أن العديـد من المسؤولين عـن تنفيذ القانون كانوا يعتقدون أن المصـدر محلي. تم ذكر اسم أحد الأشخاص المشتبه بهم علناً؛ إلا أن اتهاماً لم يوجه له أبداً.

لا يجـوز التقليل من تأثير الهجمات بالجمرة الخبيثـة على سياسة صنع القرار داخل البيت الأبيض في عهد بوش. بعد حدوث تلك الهجمات مباشرة، قاد نائب الرئيس تشيني، ووزيـر الصحة والخدمات الإنسانيـة تومي ثومبسون الجهود من أجـل إقرار قانون حول برنامـج لقاح ضد الحمى الصفراء يطال جميع الأمريكيين على أمل التقليل من تأثير أي هجوم بالأسلحة البيولوجية يستخدم الحمى الصفراء. وبينما تم تلقيح معظم المستجيبين الأوائل، بالإضافة إلى العاملين في المستشفيات في نهاية المطاف – أي أولئك الذين يمكن أن يكونوا أول من يتعرض لخطر انتشار الحمى الصفراء – فإن الخطة الأكثر طموحاً لم

تبصر النور أبداً. كما دفعنا باتجاه إقرار تمويل مشروع قانون يدعى مشروع الدرع الواقي مـن الأسلحـة البيولوجية، والـذي كان يهدف إلى تطوير لقاح، وتخزينـه من أجل حماية الأمريكيين في حال حدوث هجمات بالأسلحة البيولوجية.

أعلـم أن تفكـير بوش قد تأثر كثيراً بهجمات الجمـرة الخبيثة. كان مصمماً على منع قيام أي هجوم إرهابي آخر، وعلى تحدي أي نظام يعتقد أنه يسعى للحصول على أسلحة دمار شامل. وفي الوقت الذي ستكون خططه من أجل تحقيق هذه الأهداف موضع تساؤل، فإن قلقه بشأن هذه الموضوعات كان صادقاً.

في عطلة عيد الميلاد، وبعد انقضاء مدة قليلة على تراجع قصص الجمرة الخبيثة عن عناوين الصحف، سافرت إلى موطني الأصلي في أوستن لقضاء بعض الوقت مع عائلتي. أثنـاء ركوبـي الطائرة، نظـرت إلى المقعد الذي سأجلـس فيه فوجدت ما بـدا وكأنه آثار مسحـوق أبيض على طرف المقعد. توقفت للحظة عابـرة، وهززت رأسي وخاطبت نفسي قائـلاً: «لا بد أنك تمزح! فمن بين كل المقاعـد على متن هذه الطائرة، لا أختار سوى هذا المقعـد الذي توجد عليه آثار مسحـوق أبيض». أخذت نَفَساً عميقاً، ونفضت هذا المسحوق على الأرض، ثم جلست في مقعدي يغمرني شعور بالسعادة كوني ذاهب للقاء عائلتي.

تساءلـت فيما بعـد عما قد كان من الممكن أن يحدث لـو أن شخصاً آخر هو من اكتشف ذلك المسحوق. ربما كان موعد إقلاع الطائرة قد تأخر، أو ربما ألغيت الرحلة من أجل فحص هـذا المسحوق، ورُكِنَت الطائرة جانباً. كانت لي نظريـة شخصية حول مصدر هذا التلوث؛ إذ ربمـا كان هـذا المسحوق من بقايا نوع من الفطائر المحلاة كان أحد المسافرين يتناوله في رحلة سابقة على متن هذه الطائرة – وهو نوع من الفطائر يكون مسحوق السكر فوقه.

كانت الوحدة التي شهدتها واشنطن في الأشهر القليلة التي أعقبت هجمات الحادي عشر من أيلول تغييراً رحّبَ به الجميع. فقد كانت العواطف الجياشة التي وحدت الجميع شيئـاً لم تألفه واشنطن منذ عقود. هل كان سينتهـي المطاف بالسياسة كعقلية حربية، وبتجـاوزات عصر الحمـلات الدائمة إلى إظهار تأثيرات جانبيـة إيجابية لهذه المأساة الوطنية غير المسبوقة؟

كلا، لم يكـن هذا ليحـدث. فالقوى التي حولـت واشنطن على مدى عقـود ثلاثة إلى سلسلـة مـن الحـروب الحزبية كانت أقـوى بكثير. وكانت هـذه القوى تعمـل على جانبي خطوط التماس التي تفصل بين الحزبين.

بـدأت أولى مظاهر التصدع في واجهة جدار هذه الكياسة تظهر مع بداية شهر كانون الثـاني، يناير سنة 2002. فقد صـرح كارل روف في اجتماع صحفي علني للجنة الوطنية التابعـة للحـزب الجمهوري في مدينة أوستن بولاية تكساس أن الحزب قرر أن يجعل من قيادة بوش للحرب ضد الإرهاب الموضوع الرئيس من أجل استعادة السيطرة على مجلسي النواب والشيوخ في الانتخابات النصفية القادمة.

كان روف أول مسـؤول في الإدارة يجعـل من موضوع الحرب شأنـاً حزبياً علنياً، وكان هـذا تحولاً لافتـاً في نغمته عن التأكيد المستمـر من قبل بوش على ضـرورة قيام الوحدة الحزبيـة من أجل مواجهة الإرهـاب الإسلامي المتطرف وإلحـاق الهزيمة به. قال روف: «بإمكاننـا الخروج إلى الشعـب الأمريكي بهذه القضية المتعلقـة بكسب الحرب. بإمكاننا الخروج إلى البلاد حاملين لواء هذه القضية لأن الناس يثقون أن الحزب الجمهوري قادر على حماية القدرة العسكرية الأمريكية وتقويتها، وبالنتيجة حماية أمريكة».

في ذلـك الوقت، أظهـرت استطلاعات الـرأي العام تقدم الحـزب الجمهوري بفارق كبـير (38 نقطة بحسب استطلاع غالـوب)، باعتباره الحزب الأكثر وثوقـاً بالنسبة إلى الأمريكيـين في تعامله مع قضية الإرهاب، كمـا كان يتمتع بتفوق أكبر في القضايا المتعلقة بالسياسـة الدفاعية. ولكن بينما كان كلا الحزبين يمكن أن يَفيدا من هذه الميزة الكبيرة لتحقيق مكاسب سياسية في الانتخابات، فإن صراحة روف حول هذه الإستراتيجية أثارت حنق الديمقراطيين المشككين الذين أدانوا روف لمحاولته تسييس الحرب.

بـدأ الرئيـس بعد ذلك مباشـرة بشن حملة علنيـة جديدة لصالـح مرشحي الحزب الجمهـوري لانتخابـات الكونغرس، حتى ضد الديمقراطيين القائمـين على رأس عملهم، مذكـراً بطريقته في إدارة الحرب، بالتعاون مع زعمـاء الحزب الجمهوري الآخرين. لقد حافـظ على علاقات جيدة مع أعضاء الكونغرس في ولاية تكساس عندما كان حاكماً لها،

وذلك لأنه رفض أن يشن حملات انتخابية ضد أحد منهم، حتى لو كان ينتمي إلى الحزب المعارض. ولذلك فقد أدت أفعال بوش إلى إثارة القلق في صفوف الديمقراطيين.

انتهت في شهر أيار، مايو، الفترة القصيرة من السلم الحزبي الذي أسست له هجمات الحادي عشر من أيلول إلى الأبد.

انطلقت الجولة الجديدة من الحرب بين الحزبين بسبب كشف مرعب بثته شبكة أخبار CBS. ففي نشرتها الإخبارية المسائية في الخامس عشر من شهر أيار، مايو، سنة 2002 التي استندت فيه إلى معلومات تلقتها من مصدر لم تشأ الإفصاح عنه، نقلت هذه الشبكة بطريقة مثيرة أن الرئيس تلقى معلومات استخباراتية في شهر آب، أغسطس، سنة 2001 «نبهته بشكل لا يقبل التأويل إلى احتمال وقوع هجوم على الولايات المتحدة بواسطة طائرات مختطفة».

تابع مراسل هذه الشبكة ديفيد مارتن تقريره قائلاً: «إن المعلومات الاستخباراتية اليومية التي يتلقاها الرئيس ترد إليه كل صباح، وغالباً ما يعرضها عليه مدير وكالة المخابرات المركزية بنفسه. وقد حذرت هذه التقارير قبل أسابيع من وقوع هجمات الحادي عشر من أيلول أن الهجمات التي سيشنها بن لادن قد تتضمن اختطاف طائرات أمريكية».

أثار هذا التقرير الكثير من الأسئلة. هل كان التقرير يلمح إلى أن الرئيس تلقى معلومات كان عليه أن يتصرف بموجبها؟ هل كانت تلك المعلومات مجرد علامة تحذير محتمل، مثل الكثير من المعلومات الأخرى التي لم يتم التحقق منها؟ أم هل كانت توحي بأشياء أخرى؛ فربما كانت معلومات استخباراتية غير محددة تعود إلى سنوات سابقة؟

لم تتم الإجابة على أي من تلك الأسئلة حينها، إلا أن ذلك لم يعنِ إلا القليل بالنسبة إلى زعماء الحزب الديمقراطي في الكونغرس. فقد رأوا في ذلك التقرير فرصة لمهاجمة القضية التي تذرع بها الرئيس – والمتمثلة في قيادته الحرب ضد الإرهاب – والحد من شعبيته المتنامية قبل خوض الانتخابات النصفية في شهر تشرين الثاني، نوفمبر الثاني.

في صباح اليوم الثاني لبث التقرير في شبكة CBS أعلن توم داشل رئيس الأغلبية في مجلس الشيوخ أنه «قلق جداً» مما سمعه من «أن الرئيس تلقى تحذيراً في شهر آب، أغسطس، من وجود تهديد بخطف طائرات» من قبل القاعدة. طلب تسليم نسخة من التقرير الاستخباراتي المقدم للرئيس إلى محققين من الكونغرس من دون أي تأخير.

أما ريتشارد غيبهارت، رئيس الأغلبية في مجلس النواب، وهو نائب ديمقراطي عن ولاية ميسوري فقد استحضر فضيحة ووترغيت قائلاً: «أعتقد أن ما يجب علينا الآن القيام به هو الاطلاع على المعلومات التي كانت بحوزة الرئيس والبيت الأبيض والمتعلقة بالأحداث التي أوصلت البلاد إلى الحادي عشر من أيلول، ومتى حصلا عليها، وما الذي قاما به بشأن هذه المعلومات في حينه».

لكن أكثر من أثار حنق البيت الأبيض والجمهوريين كانت السيناتور هيلاري كلينتون، العضو في مجلس الشيوخ عن الحزب الديمقراطي.

وبينما أكدت السيناتور كلينتون أنها لا تحاول تصيد أحد بعينه في هذه المسألة؛ بل تحاول فقط، البحث عن أجوبة؛ فقد نهضت من مقعدها في المجلس لتعلن «أننا اطلعنا اليوم على شيء كنا يجب أن نطلع عليه منذ ثمانية أشهر على الأقل: أن الرئيس بوش أحيط علماً السنة الماضية قبل وقوع هجمات الحادي عشر من أيلول باحتمال وجود مؤامرة من القاعدة لخطف طائرة مدنية أمريكية». وأتبعت هذا الإعلان برفع نسخة من الصفحة الأولى لإحدى الصحف الشعبية وهي صحيفة نيويورك بوست، وكانت تحمل العنوان المثير الآتي: «بوش كان يعرف» وتحت هذا العنوان المثير كان هناك عنوان فرعي أقل إثارة: «قنبلة الحادي عشر من أيلول».

سألت كلينتون: «ماذا كان يعرف الرئيس؟».

كان ذلك التلميح واضحاً: أن الرئيس توفرت لديه معلومات كان من الممكن أن يستخدمها لمنع وقوع الهجمات في الحادي عشر من أيلول، ومع ذلك، فهو لم يفعل شيئاً.

obeikandl.com

شعـرت أنا وزملائي في البيت الأبيض بحنق شديد. فقد بدا ذلك الهجوم المدوي على الرئيس بمثابة إيذان باستئناف للحرب البشعة بين الحزبين، والتي حددت معالم واشنطن وثقافتهـا السائدة في عقـد التسعينات من القرن العشريـن. فالسياسة كحرب، والتلميح إلى العودة إلى سياسة الفضائح، والإشارة الفظيعة إلى احتمال أن يكون الرئيس قد تعمد إهمال واجبه تجاه سلامة الأمة – كان يراد لها أن تصب في صالح نتائج انتخابات تشرين الثاني، نوفمبر، القادمة.

جميـع العناصر المعهودة للبدء في شن هذه الحـرب الحزبية كانت متوافرة. فالقصة المتداولة، والاتهامات الحزبية التي تلت تلك القصة ساهمت في إذكاء اللغط الذي قامت وسائـل الإعـلام بتغطيته. كان عنوان هذه القصة يتكرر علـى امتداد أيام عدة، وقد عاد هذا العنوان إلى الواجهة من جديد، حتى بعد انقضاء سنتين عليه، وذلك عندما أصبحت المعلومـة ذات السرية العالية التي كان التقرير اليومي المقدم للرئيس يتضمنها في متناول يـد الجمهور، وكذلك في متنـاول يد لجنة الحادي عشر من أيلـول المكلفة بالتحقيق فيما حدث بالفعل.

في اليوم الثاني، تصدرت هذه القصة الصفحة الأولى من صحيفة نيويورك تايمز:

بعـد أشهر من الدعم اللا محـدود للأسلوب الذي يتبعه الرئيـس بوش في حربه ضد الإرهـاب، فإن زعماء ديمقراطيين في الكونغرس غـيروا مسارهم اليوم وطالبوا بالكشف الكامـل عـن كل مـا أحيط به السيـد بوش في الصيـف الماضي من معلومـات حول خطر قيـام الإرهابيـين بخطف طائرات. كما دعوا إلى إجراء تحقيق علني شامل حول ما كانت الحكومة على اطلاع عليه قبل الحادي عشر من أيلول. ... لأول مرة منذ الحادي عشر من أيلـول، تحولت الوحدة بين الحزبين حـول الطريقة التي أدار بها السيد بوش الحرب ضد الإرهاب، إلى أسئلة حادة، وإلى اتهامات، وإشارات بالبنان لتحديد المسؤوليات. ... وقال الديمقراطيون الذين كانوا مترددين حتى الآن في تناول سياسة السيد بوش بالانتقاد، إن من واجبهم الحصول على المعلومات المطلوبة.

بدت ملاحظات كلينتون بالنسبة للبيت الأبيض ومناصريه خطوة محسوبة للإمساك بخيوط الحبكة فيما يخص من يتحمل اللوم بشأن هجمات الحادي عشر من أيلول، ملقية باللوم على عتبة باب الشخص الذي يقبع حالياً في المكتب البيضاوي. هل كانت تحاول حماية إرث زوجها عبر نقل اللوم بسبب التغاضي عن التقارير الاستخباراتية حول بن لادن، من زوجها إلى خليفته؟ أشار البيت الأبيض إلى أن السناتور هيلاري كلينتون لم تكلف نفسها عناء الاتصال بأحد لتتأكد من الحقائق وراء عناوين تلك الصحف قبل إلقاء كلمتها.

بالنسبة لنا، كانت الطريقة الماكرة التي اتبعها زعماء الحزب الديمقراطي لشيطنة الرئيس وإدارته قد تجاوزت الحدود. فقد اعترض الجمهوريون بشدة على ذلك، وبادروا إلى القيام بهجوم معاكس شرس بقيادة البيت الأبيض. على إثر ذلك، تراجع الزعماء أنفسهم من الحزب الديمقراطي عن تلميحاتهم الأولى وعن إلقائهم اللوم جزافاً، خصوصاً عندما تكشّفَ لهم أن تسرعهم في اختلاق قصةٍ مستغلين فيها مأساة مروعة كالتي حدثت يمكن أن ترتد عليهم في أعين الناس. ولكن قبل أن يسحبوا اتهاماتهم، طغت تلك القصة على الأخبار الصادرة من واشنطن لعدة أيام، وبدأ بعضهم مثل السيناتور كلينتون محاولة التخفيف من لهيب وسائل الإعلام التي وجدت في تصريحاتها مادة جنونية، عبر خلق دعم لفكرة تشكيل لجنة مستقلة للتحقيق في هجمات الحادي عشر من أيلول. قاوم البيت الأبيض الفكرة في البداية، وكانت حجته أن لجان مجلسي النواب والشيوخ هي من يجب أن تتولى التحقيق المطلوب.

ردت الإدارة على ذلك الهجوم بالمثل. وصف نائب الرئيس تشيني اقتراحات الديمقراطيين بمحاولة «صب الزيت على النار»، وأعلن الرئيس بوش أنه «لو كان لدينا أدنى شك على الإطلاق في أن الإرهابيين على وشك القيام بهجمات على بلادنا، لكنا بذلنا كل ما في وسعنا للدفاع عن أمريكة». وفي إشارة منه إلى التلاشي المتسارع لروح الوحدة الحزبية، أضاف قائلاً: «وأنا متأكد من أن الرئيس كلينتون كان سيقوم بنفس ما قمنا به. أي رئيس آخر كان سيفعل الشيء نفسه».

هـل يجب إلقاء اللوم على جهة ما، في هـذا المقام؟ ربما. من السذاجة أن لا يتصور المـرء أن الديمقراطيـين كانوا يحاولـون عبر ذلك تحقيق مكاسـب انتخابية وذلك قبل أشهـر قليلـة علـى موعد الانتخابـات النصفيـة للكونغرس. ولكن سيكون مـن الخطأ الافتراض بأن اتهاماتهم التي فاقت الحدود، وإشاراتهم ذات الدوافع الحزبية لم يكن لهـا ما يسوغهـا وأن الديمقراطيين وحدهم كانوا مسؤولين عـن انهيار التعاون الحزبي في أعقـاب هجمات الحادي عشر من أيلـول. فقد كان الديمقراطيون يردون، ولو بشكل جزئي، على محاولات الجمهوريين جني مكاسب سياسية من الجهود التي يبذلها الرئيس لشن الحرب على الإرهابيين.

لو كان الحذاء في القدم الأخرى –أي لو كان الرئيس ينتمي إلى الحزب الديمقراطي أثناء وقوع هجمات الحادي عشر من أيلول– هل كان الجمهوريون سيتخذون نفس الموقف الناري منه؟ ربما. فاتهامات الجمهوريين للرئيس كلينتون بأنه كان «يهز ذيل الكلب» سنة 1998 عبر شن هجمـات جوية على العراق لحرف الأنظار عن فضيحة مونيكا لوينسكي، كانـت لهـا الدوافع الحزبيـة نفسهـا. فالمشكلة في واشنطـن متأصلة، وتتجـاوز الأخطاء الشخصية التي يرتكبها أي شخص يعمل في السياسة.

في الحقيقـة، كان لا بـد لروح الوحـدة بين الحزبين مـن الانهيار بسبـب أن الشكوك وانعـدام الثقـة بـين الحزبين وقادتهمـا في واشنطـن أصبحـت متجذرة في عمـق المناخ التدمـيري الـذي ساد في العقد السابق. ويبقى أن إلقاء اللوم على حزب بعينه، أو التلميح إلى أن زعمـاء أو أشخاصـاً بعينهم هم فقط المسؤولون عن هـذا الانقسام، يجعل الأمور تـزداد سوءاً، ويدفعنا إلى تجاهـل الأسباب الحقيقية التي أوصلتنـا إلى هذا المستوى في خطابنا السياسي على المستوى الوطني.

أصبـح الوصـول إلى الحقيقة بعيداً عن هذا القنص الحزبـي الذي لا نهاية له يزداد صعوبة بالنسبة للأمريكيين العاديين. فالحزبيون في واشنطن من الطرفين أصبحوا أكثر دهـاء في استعمـال الوسائل التي يغيبـون فيها الحقيقة عبر خلطهـا بالحقائق الجزئية،

obeikandl.com

واللـف والـدوران السياسـي، والتضليل، وتزييف الحقائـق، وغياب أي شـكل من أشكال الصـدق الفكري. كمـا أن وسائل الإعلام أيضاً تركز علـى الفائزين والخاسرين في آخر المناوشـات في الحمـلات والحمـلات المضادة بـدلاً من قيامهـا بالتركيز علـى القضايا الجوهرية، وتأثيرها على حياة المواطنين الأمريكيين.

لكـن الإمساك بالأسباب التي أدت إلى الانقسام في واشنطن، وإلى تسيد روح الحرب الحزبية وثقافة الخداع التي تنتجها ليس بالمهمة الصعبة. ففي اللحظة التي يتبين للناس أن المشكلـة في واشنطـن لا تكمـن في أحـد الحزبـين أو في قادتهما، بل في مـا يعاني منه الحزبـان وقادتهمـا؛ عندها نستطيع البـدء في عملية التحرك إلى مـا وراء هذه المشكلة، ونضـع مـن جديد واشنطن علـى الطريق الصحيح مـن أجل مواجهة أكـبر تحدٍ تواجهه الأمة – ولتجنب بعض أكثر العواقب سوءاً؛ وهي العواقب الناجمة عن العداوات السياسية والحرب الكلامية في أيامنا هذه.

يلقـي بعض المراقبين السياسيـين – وخصوصاً الديمقراطيين – اللوم على كارل روف بسبـب الكثير من التجـاوزات التي طبعت حقبة الحملات الدائمـة. فكارل ممارس قوي وموهـوب للحـروب السياسية المعاصرة. لكن كارل روف ليس هـو المشكلة. فلم يكن كارل روف هو من أسس لهذه التجاوزات التي تمارس في الحملات الدائمة. كل ما عليكم القيام بـه هو العودة إلى الـوراء، والتمعن في طبيعة الحملات التـي كان يديرها أشخاص أمثال لي أتواتـر وجيمـس كارفيل، ومن تسيدوا هذا النوع من الحمـلات السياسية سابقاً لتروا كيـف كانت الأمور تجري حينهـا. أستطيع القول إن التجاوزات التي مورست في الحملات الدائمة هي التي أدت إلى ظهور أشخاص مثل كارل روف.

ولكن لم يحظَ مساعد سياسي بهذا القدر من التأثير داخل البيت الأبيض مثلما حظي بـه روف. فبحكم موقعه مستشاراً كبيراً يشرف على الشؤون السياسية والإستراتيجية، كان روف يسيطـر علـى مركز السلطة ذي النفوذ الأقوى في البيت الأبيض. كانت هناك مراكز سلطة أخرى ذات نفوذ، لكن أياً منها لم يكن له مستوى النفوذ نفسه على طريقة الحكـم في البيت الأبيض، وتقرير شكل سياسته، وعملياتـه مثل ما كان لروف. وبعكس

كارن هيـوز التـي كان هدفها يتركز علـى مساعدة الرئيس في صياغـة رسالته بطريقة تحظـى بقبول الأمريكيـين العاديـين، وخصوصـاً المتموضعين منهـم في وسط الطيف السياسـي، وبعكـس آندي كارد رئيس أركان البيت الأبيض الـذي كان وسيطاً نزيهاً بين وجهـات النظـر السياسية المتباينة، فقـد كان كارل روف لاعباً مركزيـاً لا يمكن وصفه بالحيادي فيما يتعلق بآرائه السياسية أو العقائدية.

بـكل بساطة ووضـوح، كان دور روف ينحصر في مجال المناورات السياسية؛ وهو ما يفسر المكائد التي كانت تحاك داخل البيت الأبيض ونتائجها، سواء كانت هذه النتائج مفيدة أم ضارة.

أمـا فيمـا يتعلق بالحقيقة وراء شعـار «بوش كان يعرف»، فإن كشـف حقيقة ما جرى في الأشهـر التـي سبقت وقوع هجمات الحـادي عشر من أيلول، سيستغـرق بدوره أشهراً عديـدة. فقـد تم الكشـف سنـة 2004 أن تصريحات الرئيـس اليومية كانـت تستند إلى التقاريـر الاستخباراتيـة نفسها التـي كان الرئيس كلينتون يتلقاهـا في التسعينات. لسوء الطالـع، أدت ردة الفعل الأوليـة الصادرة عن البيت الأبيض في عهـد بوش على المطالب التـي طرحهـا منتقدوه الحزبيـين في الكونغرس وأماكـن أخرى، والمتعلقـة بتشكيل لجنة مستقلـة، إلى عاصفـة ملتهبة من الغضـب. كانت تلك إشـارة أولى إلى أن إدارة بوش لم تتقبل بشكل كافٍ فكرة الحاجة إلى ممارسة الشفافية في إدارة القضايا العامة.

لم يكـن الرئيس بوش وكبـار مستشاريه متحمسـين يوماً لتحقيقات تقـوم بها جهات محايدة. كانـوا مقاومين للانفتاح، وكانوا يؤمنون أن التحقيقـات تعني المراقبة اللصيقة لأمور يفضلون أن تبقى بعيدة عن الأعين. وهذا لا يعني بأي حال من الأحوال أن ما قاموا بـه كان بالضرورة تجاوزاً للقوانين؛ بل يعنـي أن بعض ما قاموا به بشكل سري قد لا يبدو جيداً لو اطلع عليه الرأي العام، وقد يشكل إحراجاً للرئيس.

لم تكـن سياسة الستائر المغلقة، أو الأبواب المقفلـة أبداً سياسةً جيدة في مجال العمل الحكومي، إلا إذا كانت تتعلق بقضايا جوهرية تمس الأمن القومي. فالسرية تشجع الناس

علـى القيام بأفعال لا يتمنون أن يطلـع عليها الآخرون. فالانفتاح مسألة جوهرية بالنسبة إلى موضوع المحاسبة.

لم تخضع إدارة بوش إلى مبدأ المحاسبة الحقيقية، ويعود ذلك بشكل رئيس إلى أن بوش نفسـه لم يمارس الانفتـاح، أو العمل الحكومي في وضح النهار. فقد بـدأ إيمانه بضرورة ممارسة السرية والعمل خلف الأبواب المغلقة يترجم إلى ممارسة فعلية منذ أن بدأ اللغط يطفو على السطح. لكن السرية انتهت إلى تأجيل عواقب ممارستها، وليس إلى وضع حدٍ لهـا. فمقاومة الانفتاح في زمن يسوده اللغط يؤدي إلى هزيمة للذات في عصر الإنترنيت، والفضاءات المفتوحة، وعمليات التمحيص الشديدة التي تقوم بها وسائل الإعلام.

عـرف آنـدي كارد عبر خبرتـه في العمل لدى إدارتـين سابقتـين أن التحقيقات لا بد أن تجـرف في طريقهـا ضحايـا من بين العاملـين في تلـك الإدارات. كان مبـدأ المراقبة مطلبـاً دائماً للبيـت الأبيض، فكلما كانت هناك مراقبة أكـثر، كان ذلك أفضل. ولكن لو أخذنـا الطبيعة الحزبية لواشنطن بعين الاعتبار، فسنجـد أنه حالما تخرج قصة ما، إلى العلـن؛ فإن من الصعوبة بمكان، إعادتها إلى المكان الـذي انطلقت منه. وبالرغم من أن البيـت الأبيض في عهد بوش لم تكن لديـه الرغبة يوماً في أن يقود حملـة هدفها البحث عـن الحقيقة، بشكل لا لبـس فيه، فقد وصلت تلـك الإدارة إلى الاقتناع بأن تحقيقاً حول الأحداث التي أدت إلى وقوع المأساة الناجمة عن هجمات الحادي عشر من أيلول هو أمر لا بـد منـه. وهكذا تمت ولادة لجنـة التحقيق في أسباب وقوع هجمـات الحادي عشر من أيلول في شهر تشرين الثاني، نوفمبر، سنة 2002؛ وكانت هذه اللجنة ترجمة لجهد حزبي مشترك يتجاوز الحروب السياسية، ويتطلع إلى كشف الحقيقة.